الدياسبورا، أي على البعد عن الاماكن المقدسة، كي تصوغ أدبياتها الموجه الى اليهود. وكلا الجانبين غير موضوعي، لأن مأساة اليهودي، حتى في ظل النازية، ليس في كونه بعيداً عن «أرض الميعاد»، ولا لكونه «غريباً» في المانيا، وانما لكونه يخضع لحكم عنصري، هو ذات الحكم الذي تبشر به الصهيونية في ادبياتها السياسية، وهو الذي مارسته، وتمارسه، عملياً، تجاه اليهود الشرقيين، وتجاه العرب في اسرائيل. من جهة أخرى، لم تكن الأماكن المقدسة، في أي يوم، محرمة على الحجاج؛ اذ يستطيع المسلم الصيني أن يحج الى مكة متى أراد، وإذا لم يستطع، لسبب ما، فيمكن ان يحملها في قلبه؛ وهذا الكلام يصح بالنسبة الى أي متدين يدين بأي دين آخر، مهما كان تقاه وتعلقه بايمانه.

الدياسبورا اختراع أوروبي

الواقع ان الدياسبورا الصهيونية لم يخترعها اليهود، وانما الأوروبيون.

لقد كشفت تطورات الثورة الفرنسية، وخصوصاً فترة روبسبير، عن أخطار محيقة بالبورجوازية متمثلة بالتيارات المعادية للاستغلال الرأسمالي، التي تتهدد، وان لم تتبلور بعد، سيطرة البورجوازية في المجتمع، من جهة، ومصالحها الاقتصادية، من جهة أخرى.

وتجاه ذلك، سرعان ما تحالفت البورجوازية مع الارستقراطية، مع بقاء الميزان راجحاً لمصلحتها. كان ذلك يعني الاستفادة من نفوذ الارستقراطية ورصيدها الواقعي، وكذلك من مخزوناتها الايديولوجية. وكان أهم ما في تلك المخزونات هو الدين؛ لا باعتباره تجسيداً لحرية الايمان الديني لدى الأفراد، وانما باعتباره، بصرف النظر عن الايمان المتمثل فيه، يؤلف أداة ربط للمؤمن بالمؤسسات التقليدية التي تسخّر الدين في خدمة الارستقراطية والبورجوازية.

لذلك ساعدت البورجوازية الأوروبية، في أغلب بلدانها، في انشاء وتنشيط مختلف الجمعيات التبشيرية، واستخدمتها بشكل مباشر، أو غير مباشر، في مختلف الأغراض الداخلية والخارجية. طبعاً كان لتلك الجمعيات نشاطات انسانية في مناطق مختلفة من العالم، مثل تقديم الخدمات الصحية، والتعليمية، الخ؛ ولكن كان لها، أيضاً، نشاطات مفيدة للبورجوازية في ترسيخ سيطرتها السياسية في بلدانها، وفي مد السيطرة الاستعمارية الى الخارج.

مع الزمن، صارت البورجوازية العالمية تتفنن في استغلال الدين، وايمان الجماهير العفوي به، لمصالحها ولتنفيذ مخططاتها.

في القرن السابع عشر، وضع الكاردينال ريشيليو حداً فاصلاً بين أوامر البابا الروحية ومخططاته الدنيوية، فقال: «بينما يطيع المرء، دينياً، البابا في الأمور الروحية، يحق له أن يعارضه في مخططاته الدنيوية». أما البورجوازية، فقد عمدت الى استغلال الدين في كل المجالات التي تستطيع فيها الاستفادة من الديماغوجية الرجعية.

طبعاً تحول البورجوازية، فيما يتعلق بالطبقات الغنية، دون تسمياتها؛ وتحول دون التدخل الديني في ممارسة الاغنياء للقمار، ولتجارة المخدرات، والجنس، وفي نهب المجتمع، بل وفي الجريمة المعنوية والمادية تجاه الوطن والمجتمع، وتجاه الأبناء والزوجات، وتجاه الآخرين الأضعف سلطة، أو أقل غنى. تحول البورجوازية دون أي ردع دنيوي لارتكابات الأغنياء على اختلافها، ما عدا الأمور التي تردعها هي، وباسلوبها، لا بالاستناد الى الأسس